أثر علوم القرآن في تفسير آيات الأحكام عند العلاّمة السبحاني في كتابيه

(الطاف الرحمن في فقه القرآن – ومنية الطالبين في تفسير القرآن المبين)

القراءات أنموذجاً

الباحثة

كاظميه ناصر حسين

kadhimiyanasir@gmail.com

جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

الأستاذ الدكتور

أمل سهيل الحسيني

dr.amal.alhusiani@gmail.com

جامعة الكوفة ـ كلية التربية المختلطة

The Impact of the Sciences of Qur'an on interpretation of the - verses of the provisions according to al-Sibhani in his two books

(Altaf Al-Rahman fi fiqh al-Qur'an- and Munyat al- Talibeen fi tafseer al- Qur'an al-mubeen)

Researcher

Kadhimiya Nassir Hussein

University of Kufa - Faculty of Jurisprudence

Prof. Dr.

Amal Suhail al-Husseini

University of Kufa - College of Co-educationd

الملخص:-

لقد أهتم العلماء والدارسين في الأبحاث العلمية للقرآن الكريم، فانكبوا على دراسة هذه الأبحاث بشغف وتقديس؛ لذلك كتبوا الكثير من هذه الأبحاث، كانت ذات فائدة عميقة ومردود علمي ثر، اسموها (بعلوم القرآن).

ومن هنا جاء هذا البحث عبارة عن دراسة أهمية علوم القرآن عند الشيخ السبحاني لدى تفسيره لآيات الأحكام في كتابيه (الطاف الرحمن - ومنية الطالبين) مختاراً منها القراءات انموذجاً.

كذلك بين البحث المكونات الفكرية للعقلية التفسيرية عند المصنف ورأيه وموقفه من هذه القراءات.

الكلمات المفتاحية: (علوم ، القرآن، القراءات، الطاف الرحمن، منية الطالبين).

Abstract:-

Scientists and scholars have cared about the scientific research of the Holy Qur'an. They devoted themselves to studying these researches with passion and reverence. That is why they wrote a lot of these researches that were of deep benefit rich scientific returns, and they called it (the sciences of the Qur'an).

Hence, this research is a study of the importance of the sciences of the Qur'an with Sheikh al-Sibhani when he interpreted the verses of rulings in his book(Altaf Al-Rahman we Munyat al-Talibeen), choosing the readings from them as a model. And so, the research showed the intellectual components of the explanatory mentality of the author, his opinion and position on these readings.

Keywords: sciences, the Qur'an, readings, kindnesses of Al-Rahman, munyat al-Talibeen (wishes of the askers).

المقدمة:

القرآن الكريم هو دستور الله الأوحد ومعجزته الخالدة، التي أنزلها على رسوله الأكرم محمد ﷺ، فهو الكتاب الذي لا تفنى معارفه ولا تنقضي معاجزه، من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار.

ولا يخفى على كل متتبع للقرآن ان علومه هي أشرف العلوم وأفضلها؛ وذلك لقدسية موضوعه وشرفه على سائر العلوم وموضوعاتها، جعله الله حجة على خلقه ودستوراً لعباده، لذا تسابق العلماء على ضرورة تعلمه وتعلم علومه، فكان منهل العارفين وملاذ المجتهدين، إذ عكفوا عليه وعلى دراسته وتعلم علومه، لأنه الناموس الإلهي الذي به سعادة الدارين الدنيا والآخرة.

ومن جملة العلماء و الفقهاء الذين درسوا القرآن وتقصوا علومه، وتفقهوا في اياته وتفانوا في خدمة الدين والكتاب العزيز ونشر علومه; وذلك من خلال مؤلفاته ومحاضراته القيمة الشيخ الجليل والعالم الفقيه ، المحقق الشيخ جعفر السبحاني (اطال الله في عمره).

وقد اختار البحث من علوم القرآن عند الشيخ السبحاني في تفسير كتابيه (الطاف الرحمن ومنية الطالبين) القراءات انموذجاً.

المطلب الأول: أهمية علوم القرآن عند المسلمين.

المطلب الثاني: أثر القراءات القرآنية عند العلامة السبحاني.

المطلب الثالث: نماذج تفسيرية في كتابيه (الطاف الرحمن ـ ومنية الطالبين) تبين أهمية القراءات عنده.

المطلب الأول: أهمية علوم القرآن عند المسلمين

لم يحتج المسلمون للبحث عن علوم القرآن أو دراستها في عهد النبي ﷺ إنما كانوا يتلقونها مشافهة وبالتلقين؛ وذلك لوجود الرسول ﷺ بين أظهرهم فكانوا يتلقونه عنه ﷺ مباشرة وبدون واسطة فهم يرجعون إليه فقط فيما أشكل فهمه منه؛ وذلك لما كان يتمتع به العربي من ذوق عربي خالص، لكن وبعد رحيله ﷺ والتحاقهُ بالرفيق الأعلى وتوسع الفتوح الفتوحات الإسلامية بدأوا بدراسة القرآن دراسة مستفيضة بحثاً عن علومه،

خصوصاً بعد تيقنهم ان تلقيهم العلم عن طريق المشافهة والتقين غير كافٍ لحفظ القرآن وعلومه من الضياع، فهم يدركون جيداً أن (ما حفظ فَرَ وما كتب قَرَ)، خصوصاً أنهم في زمان بعيد نسبياً عن عهد النبي إضافة إلى اختلاطهم بشعوب لا تنطق اللغة العربية؛ من أجل هذا كلهُ بدأت ثلة شرعية واعية من الأمة، بأن أخذت على عاتقها حفظ القرآن وعلومه من الضياع؛ وذلك يوضع ضمانات وقائية لصيانته من التحريف، وذلك بتدوينهُ في كتاب واحد بعد ان كان مجموعاً في قراطيس عدة، إضافة إلى العزم على دراسة علومه، فكان قصب السبق لأمير المؤمنين عليه السلام فانصرف بجمعه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك: ((حين رأى من الناس عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما روى أقسم ان لا يضع عن عاتقه رداءهُ حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن))[١] ثم أسس سلام الله عليه علم إعراب القرآن عندما أمر أبو الاسود الدؤلي بوضع أساسه فهو أول من وضع نقاط المصحف[٢]، ثم توالت دراسة علومه الأخرى أما عن طريق أميرالمؤمنين عليه السلام أو عن طريق الغيارى من تلامذته كأبي الأسود وتلميذه يحيى بن يعمر وغيرهم من شرفاء الأمة فصارت بذلك للقرآن علوماً كثيرة يدرسها ويستخرج كنورها علماء هذه الأمة جيلاً بعد جيل وإلى يومنا هذا... وعليه فعلوم القرآن هي: ((جميع المعلومات والبحوث التي تتعلق بالقرآن الكريم، وتختلف هذه العلوم من الناحية التي تتناولها إلى الكتاب الكريم))[٣]، فكان القرآن عربي النص عالمي الدلالة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام ((أن الله تبارك وتعالى لم يجعله ـ القرآن ـ لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غضن إلى يوم القيامة))[٤].

فانكب العلماء في كل زمان ومكان على دراسته واستخراج عجائبه فصار شغلهم الشاغل؛ وبحثهم الدائم، فأسسوا بذلك علوماً شتى استفاد منها فيما بعد من فسر القرآن ودرسه.

فكان العلامة السبحاني واحداً ممن أفاد من تلك العلوم عند تفسيره لكتاب الله تعالى على اعتبار ((ان بيان القرآن معنى ودلالة؛ يتطلب من المفسر فهم القرآن ابتداءً حتى يقوى على بيانه للمتلقي تباعاً، ولا يمكنه أن يصل إلى فهم النص القرآني بدقة ما لم يفهم مباحث علوم القرآن أولاً))[٥].

ومن هذه العلوم ما أهتم بالجانب التاريخي كعلم أسباب النزول، ومنا ما ارتبط بتاريخ قراءته وإدائه وهو علم القراءات، وكذلك ما أهتم بالناسخ والمنسوخ، وما كان قاعدة للاستنباط، وبيان الأحكام، كعلم الخاص والعام والمطلق والمقيد، والمحكم والمتشابه.

((لذا عُدّ التفسير هو غاية العلوم كلها ومحصلتها جميعاً، وأن علوم القرآن هي واحدة من روافد التفسير ومقدمة من مقدماته النظرية لا الإجرائية))[٦].

وان حاجة المفسر إلى علوم القرآن تنشأ قبل الشروع بالتفسير. ((وعموماً ان علوم القرآن جميعاً، قد تلتقي وتشترك في اتخاذها القرآن موضوعاً لدراستها وتختلف من الناحية الملحوظة فيها من القرآن الكريم))[٧].

لذا كان من الواجب، ان يكون المفسر متفقهاً وذات دراية كاملة وتامة من حيث سلامة جمعه ونزوله، ومحكمه ومتشابه واطلاقاته وتغيراته، وعمومياته وتخصيصاته، وكل مسائل التي تتعلق بالقرآن، ممّا يكون عوناً للمفسر في بيان النص القرآني ومحتوياته.

المطلب الثاني: أثر القراءات عند العلامة السبحاني

القراءات لغةً: جمع قراءة وهي في اللغة مأخوذة من مصدر سماعي لقرأ قراءة وقرآنا بمعنى: تلا تلاوة وهي في الأصل بمعنى الجمع والضم، تقول: قرأت الماء في الحوض أي جمعته فيه وسمي ("القرآن قرأنا" لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض)[٨].

القراءات اصطلاحاً:

وهي عبارة عن ((مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في التلفظ بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواءاً أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها))[٩].

اختلف الصحابة في أخذهم عن رسول الله ﷺ، فقد يأخذه أحدهم بحرف واحد، وقد يأخذه غيره بحرفين، بينما زاد ثالث أكثر، وهؤلاء تفرقوا في البلاد الإسلامية، وعلموها لغيرهم بهكذا صورة ثم جاء عصر التابعين فأخذوها هكذا عنهم ثم تابعي التابعين وهكذا إلى ان وصلت إلى أئمة القراء المشهورين، هؤلاء انقطعوا للقراءات يضبطونها وينشرونها هكذا، فمنها نشأ علم القراءات.

وعليه فإنه هذا (المعول عليه في القرآن الكريم إنما هو التلقي والأخذ، ثقة عن ثقة وإماماً عن إمام عن النبي ﷺ، وان المصاحف لم تكن هي العمدة في هذا الباب، إنما هي مرجع جامع للمسلمين على كتاب ربهم ولكن في حدود ما تدل عليه وتعينه دون مالاً تدل عليه ولا تعينه)[١٠].

ولا غنى للمسفر عن أي مفسر عن اختلاف القراءات لما للقراءات من تأثير على معنى الآيات، والعلامة الشيخ واحداً من هؤلاء المفسرين الذين اهتموا بها لكنه لم ينقل الشيخ السبحاني كل القراءات القرآنية عند تفسيره آيات الأحكام إنما اهتم فقط بما نسب من قراءات لأئمة الهدى عليهم السلام وبعض صحابتهم الكرام والقراء السبعة، فقد نقل قراءة نافع، وابن عامر وحفص وغيرهم من اشتهروا بهذا الفن وممن ثبت أخذهم عن الأئمة عليهم السلام.

كان موضوع القراءات موضع اهتمامه إلى الدرجة التي أفرد لها مبحثاً كاملاً، ناقش فيها آراء من سبقه من العلماء راداً بعض تلك الآراء ومعلقاً على البعض الآخر، ناقداً من كفر من لم يقل بعدم تواتر القراءات، خذ من ذلك تعليقه على قول مفتي البلاد لأندلسية أبو سعيد فرج بن لُب الذي قال: ((من زعم ان القراءات السبع لا يلزم فيها التواتر، فقوله كفر لأنه يؤدي إلى عدم تواتر القرآن جملة))[١١]، فنراه بعد ان يورد كلامه هذا يقول: ((ونحن لانعلق عليه شيئاً إلا ما يلي: نفترض ان القراءات متواترة عند الجميع لكن لا يكفر كل من أنكر تواتر الشيء إذا لم يكن من ضروريات الدين، ثم نفترض ان تواتر القراءات من ضرورياته، فهل يكفر كل من أنكر شيئاً من ضروريات الدين إذا لم يثبت كونه ضرورياً عند المنكر، فإن إنكار الضروري إنما يوجب الكفر إذا كان ملازماً لإنكار الرسالة وهو فرع كون الشيء أمراً ضرورياً عند المنكر))[١٢].

معتبراً ان كلامه هذا غير منطقي معلقاً عليه بقوله: ((نعم الأكثر على أنها ليست متواترة وان نفي تواتره لا يلزم نفي تواتر القرآن، لأن اختلاف القراء إنما هو من خصوصيات اللفظ، وأما غير هذا فهم متفقون فيه)).

معتبراً ان اختلافهم هذا حاصل في كيفية الكلمة لا في نفسها، وقد أخذ مثلاً على ذلك فقال: ((ممن قارئ يقرأ (مالك) بالألف، وقارئ آخر يقرأها بلا ألف أي (ملك) فالجميع متفقون على الكلمة وإنما يختلفون بالكيفية))[١٣].

ولم يكتف بهذا بل نقل كلاماً لأحد أعلامهم الذين رفضوا ما ذهب إليه مفتي البلاد الاندلسية، إلا وهو الزرقاني الذي رفض هو الآخر ما ذهب إليه المفتي بقوله: ((هناك فرق بين القرآن والقراءات السبع؛ بحيث يصح ان يكون القرآن متواتراً في غير القراءات السبع أو في القدر الذي اتفق عليه القراء جميعاً، أو في القدر الذي اتفق عدد يؤمن تواطؤهم على الكذب، قراء كانوا أو غير قراء، بينما تكون القراءات السبع غير متواترة، وذلك في القدر الذي اختلف فيه القراء ولم يجتمع على روايته عدد يؤمن تواطؤهم على الكذب في كل طبقة، وان كان احتمالاً بنفيه الواقع))[١٤].

ليذهب بعد ذلك إلى نقل رأي أهل البيت عليهم السلام في القراءات فينقل أحاديث كثيرة عن الأئمة عليهم السلام مناقشاً أسانيدها ومتونها مبطلاً بعضها، ومعترضاً على بعضها الآخر من حيث السند أو غيره ليصل بالتالي إلى نتيجة مفادها: نقل حديث من زرارة عن أبي جعفر عليه السلام مفاده: ((إن القرآن واحد نزل من عند الواحد ولكن الاختلاف يجيئ من قبل الرواة))[١٥] وبهذا يكون قد قطع نزاع القوم واعتبر رأي أهل البيت هو الرأي الفاصل في الموضوع، وقد أكد الإمام الصادق عليه السلام على ذلك المعنى في الحديث الذي رواه الفضيل بن يسار الذي قال للإمام الصادق عليه السلام إن الناس يقولون: أن القرآن نزل على سبعة أحرف، فقال: ((كذبوا أعداء الله ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد))[١٦].

وبهذا يكون الإمام الصادق في حديثه هذا قد فند كل الآراء التي جاء بها اخواننا من المذاهب الأخرى. وقد نقل العلامة السبحاني آراء أخرى لمفسري الشيعة كالشيخ الطوسي صاحب التبيان والشيخ الطبرسي صاحب " مجمع البيان" والتي هي بمثابته تأييد لما قال به أئمة أهل البيت عليهم السلام من ذلك نقله لقول الطوسي في التبيان والطبرسي في (مجمع التبيان) والذي قالا فيه ((ان القرآن نزل بحرف واحد على نبي واحد غير أنهم اجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء، وان الإنسان مخير بأي قراءة شاء))[١٧].

ومن رأيهما هذا استخلص القول: ((والحق يقال: ان القرآن متواتر بهذه القراءة المعروفة الموجود، بين ايدينا التي يمارسها المسلمون عبر القرون، وأما القراءات العشر أو السبع فليست بمتواترة لا عن النبي ولا عن القراء))[١٨].

وأخيراً بين أسباب اختلاف القراءات فقال: يمكن ان تكون أسباب الاختلاف عائد

إلى: ((١- بداءة الخط ٢- الخلو عن النقط ٣- التجريد عن الشكل، ٤- اسقاط الألفات، ٥- تأثير اللهمة، ٦- تحكيم الرأي والاجتهاد))[١٩] وقد مثل لكل واحد منها:

أمّا الأوّل: فكان الخط عند العرب آنذاك في مرحله بدائية، لم تتعرف العرب الى فنونه والاتقان من رسمه وكتابته الصحيحة، فتارة يفكّكون بين حروف كلمه واحده سيكتبون الياء منفصله عنها، مثل: ((يستحى ى)) و ((نُحى ى)) و((حيى ى))، او يحذفونها رأساً كما في ((إيلافهم))، كتبوها ((إلا فهم))،وربما كتبوا النون ألفاً كما في قوله: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق:١٥].

أمّا الثاني: فقد قرأ ابن عامر والكوفيون { نُنْشِزُهَا} [البقرة:٢٥٩] وقرأ الباقون ((ننشرها)).

أمّا الثالث: قرأ نافع ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة:١١٩] بصيغه النهي وقرأ الباقون بصيغه المضارع المجهول.

أمّا الرابع: فكان الخط الرائج الخط الكوفي ولا يكتب الألفات الممدودة في ثنايا الكلم، ومن هنا قرئ ((وما يخدعون)) بصورتين، ومنه قرأ نافع ((في غيابات الجب)) والباقون ((في غيابت الجب)).

وأمّا الخامس - اي تأثير لهجه -: كقوله سبحانه ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بالنون مفتوحة في لغة قيس وأسد، ومكسورة في غيرهما، ونظيره اختلافهم في الهمز والتليين نحو ((مستهزؤن)) و((مستهزون)).

وأمّا السادس - أي تحكيم الرأي -: فهو من أكثر العوامل تأثيراً في اختيارات القرّاء، ولذلك نرى أنّ كلّ قارئ يحتجّ لقراءته بحجّة خاصّة.

المطلب الثالث: نماذج تفسيرية في كتابيه (الطاف الرحمن ـ ومنية الطالبين) تبين أهمية القراءات

ومن الوجوه التي أوردها الشيخ وحسب ما تتبعه البحث في كتابيه ــ الطاف الرحمن ومنية الطالبين ـ في تفسيره لآيات الأحكام.

١- مما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

إعراب: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.

وما جاء في اثر القراءات القرآنية في توجيه النحو القرآني في هذه الآية المباركة، قال الشيخ: ((ان في بيان إعراب «الأرجل» على رأي الأمامية ان هنا قرائتين: أولها قراء النصب، وهي قراءة نافع، وابن عامر وحفص والكسائي))[٢٠].

((والقراءة الثانية بالجر، وهي قراءة ابن كثير، وحمزة، وأبي عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر عنه))[٢١].

ثمّ قال: ((أما على القراءة الثانية فلا يشّك أيّ عربي صميم في أنّ أرجلكم عطف على الأقرب إليه، اعني: ﴿بِرُؤُسِكُمْ﴾ وأمّا القراءة الأولى ـ بالنصب ـ فالمتبادر أنّها عطف على موضع ﴿بِرُؤُسِكُمْ﴾ لأنّهُ منصوب محلّاً لكونه مفعولاً لقوله: ﴿وَامْسَحُوا﴾))[٢٢].

ورأي الشيخ بهذه المسألة: ((وعلى ما ذكرنا تكون الأرجل محكومة بحكم الرؤوس، على كلتا القراءتين))[٢٣].

وما يعضد به رأيه ذكر دليلاً قرآنياً، على أنها معطوفه على الرؤوس، حيث أفاد ((والعطف على المحل أمر شائع في اللغة العربية، وقد ورد أيضاً في القرآن الكريم قال سبحانه: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣].

فقراءة ﴿وَرَسُولُهُ﴾ بالضم هي القراءة الرائجة، ولا وجه لرفعه إلا كونه معطوفاً على اسم إنَّ ـ أعني لفظ الجلالة ـ في قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ لكونه مبتدأ، وقد عقد ابن هشام فصلا خاصاً للعطف على المحل وذكر شروطه))[٢٤].

اما في قراءة النصب ورأي أهل السنة فيها ذكر: ((اما على النصب فقالوا: إن ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ معطوف على قوله ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ في أول الآية))[٢٥] ثمّ اوردَ قولاً لأبي حيّان (ت:٧٤٥هـ) في ذلك قال: «ومن ذهب إلى أن قراءة النصب في ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ وفصل بينهما بهذه الجملة التي هي قوله: ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ﴾ فهو بعيد، لأنّ فيه الفصل بين المتعاطفين بجملة إنشائية»[٢٦].

وتأكيداً لكلامه أوردَ قولاً لعبد الهادي السندي الحنفي (ت: ١١٣٨هـ) قوله: ((وحُمل قراءة النصب بالعطف على المحل أقرب لاطراد العطف على المحل وأيضاً فيه خلوص عن الفصل بالأجنبي بين المعطوف والمعطوف عليه، فصار ظاهر القرآن هو المسح))[٢٧].

واستدل الشيخ برواية متظافرة عن النبي ﷺ توضح مسح الأرجل في حديث الرسول ﷺ وعلى القراءتين سواء كان النصب أو الجر تدلان بوضوح على وجوب المسح على الأرجل[٢٨].

وكما جاء في مسند عبدالله بن زيد المازني،((أنّ النبي ﷺ توضأ وغسل وجهه ويديه مرتين ومسح رأسه ورجليه مرّتين»[٢٩].

وأما كونه معطوفاً على الوجوه على قراءة النصب أو كونه مجروراً بالجوار على قراءة الجر فقال: فكلاهما من الامور التي لا يرضى بها الطبع العربي السليم مع شذوذهما حسب القواعد فليس للفقيه المتابع للقرآن المجيد إلا الافتاء بالمسح[٣٠]: ، يقول الشيخ: ((ثم ان القوم استدلوا على صحة الجر بالجوار بهذه الآية: ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ١٢- ٢٣].

وأنَّ وجه الاستدلال في قوله: ﴿حُورٌ عِينٌ﴾ فالقراءة المشهورة هي الرفع معطوفاً على قوله: ﴿وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾: أي يطوف عليهم ولدان مخلدون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون، ويحتمل ان يكون مبتدأ محذوف الخبر، أي ولهم حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون لما تقدم

قوله: ﴿وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ اقتضى ذكر الحور العين هذا قراءة المشهور))[٣١].

ثمّ ذكر: ((وامّا على قراءة أبي جعفر وحمزة والكسائي بجر: (حور عين)، فقيل: أنّه مجرور بالجوار، أي: ولحم طير ممّا يشتهون وحور عين))[٣٢].

وملخص القول: أنه لا يحتج بغير القراءة المشهورة إذا لم يثبت تواترها عن النبي.

٢- ومن استدلالاته بالقراءات في تفسير قوله: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

في قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾، ذكر الشيخ جعفر وجوهاً لمعنى الطهر في الآية، ((فقُرئ بتخفيف «الطاء» نعم قرأ أهل الكوفة ـ غير حفص ـ وبتشديد «الطاء» والموجود في المصحف هو التخفيف، فيكون ﴿يَطْهُرْنَ﴾ من طهرت المرأة في مقابل «طمث» فالتقابل (بين يطهّرن، وتطهّرت) يؤيّد قراءة التخفيف في اللفظة الأولى، فعلى هذا فالمنع في إتّيان النساء يكون محّدداً بطهّرهن في مقابل طمثهن، فاذا حصل النقاء ارتفع الطمث، وتحقق الطهر))[٣٣].

((وما عليه مذهب الأمامية الإتيان بعد انقطاع الدم الغسل أي بقراءة التشديد))[٣٤].

٣- استدلال الشيخ بالقراءة في تأصيل حكم عقائدي، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ (الشرح: ٧).

قال الشيخ السبحاني في استدلاله بإحدى صور القراءة، ((يمكن انَّ يكون المراد: فإذا فرغت من مهمة الحج فاتعب نفسك بنصب عليّ للولاية من دون حاجة لإفادة هذا المعنى إلى قراءة ﴿فَانْصَبْ﴾ بكسر الصاد، بل تكفي القراءة بالفتح في تصحيح إرادة ذلك باعتبار عموم التعلّق، فيشمل كل مهمة شاقة تأتي مهمة، واي مهمة أعظم وأشق من نصب الوصي))[٣٥].

وقد تبع ذلك مدافعاً عمّا تعرض له الزمخشري عارضا لقوله ورداً عليه: «ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة أنّه قرأ: «فانصِب بكسر الصاد، أي فانصِب عليّاً للإمامة، ولو صح هذا للرافضيّ صح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعلهُ أمراً بالنصب الذي هو بغض عليّ وعداوته»[٣٦].

ثمّ رد الشيخ السبحاني عليه القول بكل شجاعة «ان الأمامي (لا الرافضيّ من قبيل التنابز بالألقاب) في غنى، لاثبات ما يرتئيه، عن القراءة بالكسر حتى يواجه بذلك الاحتمال الباطل الذي ذكره الزمخشري، بل تكفيه القراءة الرائجة ويقول أن المراد: أتعب نفسك يا رسول الله بمهمة بعد مهمّة وقد قلنا أنّه عام يعّم كلّ مهمة ممّا يرجع إلى أمور الدنيا والاخرة، وتعيين الوصيّ من مهام الأمور الدنيوية والأخروية إذ بذلك يقطع أُصول الاختلاف وجذور الشغب بعد رحيله»[٣٧].

٤- الاستشهاد بالقراءات في حل الاشكال في آية، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنانِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ...﴾ المائدة: ١٠٦، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلى أَنَّهُما اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ...﴾ ﴿المائدة: ١٠٧﴾.

أفاد الشيخ السبحاني في تفسيره للآية: «ان الآية من الآيات المشكلة حسب اعتراف المفسرين، نقل الالوسي عن الشهاب أنّه قال: ليس في القرآن أعظم أشكالا وحكماً واعراباً وتفسيراً من هذه الآية والتي قبلها يعني: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ إلخ وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلى أَنَّهُما﴾ حتى صنّفوا فيها تصانيف مفردة، قالوا: ومع ذلك لم يخرج أحدّ من عهدتها))[٣٨]، ((ونقل الطبرسي عن الزجاج أن قوله: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلى أَنَّهُما﴾ من أصعب ما في القرآن من الاعراب))[٣٩].

وعلق الشيخ: ((ان وجه كون الآية من أعوص الآيات يعود إلى اختلاف القراء في موردين سبب ذلك، المورد الأول: (استحق) استحق، فقرئ تارة بصيغة المعلوم، كما هي قراءة الجمهور، وأُخرى بصيغة المجهول والثانية (الأوليان) فتارة أخرى تثنيه (الاولى) الذي هو (أفعل التفضيل) فيكون المراد الأولى بالمّيت، وأُخرى قرئ بصورة كونه تثنية للأولى مقابل الثانية))[٤٠].

وبعد ان فصل الشيخ السبحاني في تفسير واعراب الآية.

أفاد: ((وكل ما ذكرنا من الاعراب على أساس قراءة (استحق) بصيغة المعلوم، التي هي القراءة المشهورة وكون الأولى بصيغة أفعل التفضيل.

وأمّا على القراءة الأُخرى فيتغّير إعراب الآية))[٤١]، وفي نهاية تفسيره للآيات قال: ((ربما انا لا اعتقد بكثرة القراءات، وان القرآن واحد نزل من عند الواحد فالمعتبر هو القراءة الموجودة في المصاحف كلها))[٤٢].

ومن خلال القراءات وتأثيرها على الاعراب استطاع السبحاني حل اشكال الآية.

الخاتمة واهم النتائج:

١- اهتمت الامة الإسلامية بعلوم القرآن جمعاء.

٢- اهتمت الأمة الإسلامية بالقراءات القرآنية لما لها من أثر على فهم المعنى المراد.

٣ـ أيضاً كان اهتمام العلامة السبحاني كبير جداً بعلوم القرآن وخاصة القراءات القرآنية، كان يركز عليها في كتبه التفسيرية والفقهية، وتعامل مع القراءات كالآتي:

١- قبل كل شيء رفض صحة تواتر هذه القراءات عن النبي ﷺ أو عن القراء.

٢ـ استند برفضه هذا على أحاديث واردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تبين أسباب الرفض.

٣- لم ينفرد برأيه هذا بل قام بنقل آراء علماء معاصرين له أمثال السيد الطباطبائي والسيد الحكيم والسيد الخميني[٤٣].

٤- فسر بعض آيات الأحكام ذاكراً اختلاف قراءاتها التي أثرت حتى على المعنى العام للآية القرآنية.

هوامش البحث

(١) كتاب الفهرست: ابن النديم/ ٣٠.
(٢) ظ: سير أعلام النبلاء: الذهبي ٤/ ٨٢ ـ ٨٤.
(٣) علوم القرآن: محمد باقر الحكيم/ ٢٥.
(٤) بحار الأنوار للمجلسي ٩٢/ ١٥.
(٥) تاريخ القرآن وعلومه: سيروان الجنابي/١٥ـ ١٦.

(٦) المصدر نفسه/١٧.
(٧) علوم القرآن: محمد باقر الحكيم/٢٣.
(٨) ظ: مجاز القرآن: أبي عبيد معمر بن المثنى: ١/ ١ ـ ٣.
(٩) مناهل العرفان: الزرقاني ١/ ٢٨٨.
(١٠)ظ: المصدر نفسه: ٢/ ٢٨٩.
(١١) مناهج العرفان/ الزرقاني ١/ ٤٣٥.
(١٢) منية الطالبين: السبحاني ١/ ٧٣ ـ ٧٤.
(١٣) المصدر نفسه ١/ ٧٤.
(١٤) مناهج العرفان: الزرقاني ١/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦.
(١٥) الكافي: الكليني٢/٦٣٠.
(١٦) المصدر نفسه ٢/ ٦٣٠.
(١٧) التبيان: الطوسي ١/ ٧ ومجمع البيان: الطبرسي ١/ ١٢.
(١٨) المناهج التفسيرية في علوم القرآن : جعفر السبحاني / ١٧٨.
(١٩) منية الطالبين ١/ ٨٤ – المناهج التفسيرية: جعفر السبحاني /١٨٨ ـ ١٩٤.
(٢٠) الطاف الرحمن: ٣١/١، ومنية الطالبين: ٩٩/٩.
(٢١) الطاف الرحمن: ٣/١ـ ٣٢، منية الطالبين: ٩٩/٩ـ ١٠٠.
(٢٢) المصدر نفسه: ٣٢/١، المصدر نفسه: ١٠٠/٩.
(٢٣) المصدر نفسه : ٣٢/١، المصدر نفسه: ١٠٠/٩.
(٢٤) المصدر نفسه: ٣٢/١، المصدر نفسه: ١٠٠/٩ـ ظ: مغني اللبيب: ٢/ ٤٧٣ في أقسام العطف الثاني: على المحل العطف.
(٢٥) المصدر نفسه: ٣٣/١، المصدر نفسه: ١٠١/٩.
(٢٦) الطاف الرحمن: ٣٣/١، ومنية الطالبين: ١٠١/٩ـ تفسير النهر الماد: ٥٥٨/١.
(٢٧) المصدر نفسه: ٣٤/١، المصدر نفسه: ١٠٢/٩ـ
(٢٨) ظ: المصدر نفسه: ٣٩/١، المصدر نفسه: ١٠٦/٩.
(٢٩) ظ: الطاف الرحمن: ٤٠/١، ومنية الطالبين: ١٠٤/٩ـ كنز العمال: الهندي: ٤٥١/٩، الحديث ٢٦٩٢٢.
(٣٠) ظ:المصدر نفسه: ٣٦/١، ٣٧ـ المصدر نفسه: ١٠٥/٩.
(٣١) المصدر نفسه ١/ ٣٦ ـ ٣٧، المصدر نفسه ٩/ ١٠٥.
(٣٢) المصدر نفسه ١/ ٣٧، المصدر نفسه ٩ / ١٠٦
(٣٣) ظ: الطاف الرحمن: ٧٧/١ـ ٧٨.
(٣٤) الطاف الرحمن: ٨٠/١.

(٣٥) منية الطالبين: ٤٦٦/٣٠ـ ٤٦٧.
(٣٦) المصدر نفسه: ٤٦٧/٣٠ـ تفسير الكشاف: ٣/ ٧٧٧.
(٣٧) المصدر نفسه: ٤٦٧/٣٠.
(٣٨) الطاف الرحمن: ٢٣١/٣، ومنية الطالبين: ٤٧٤/٩ـ روح المعاني: ٦٨/٧.
(٣٩) المصدر نفسه: ٢٣٣/٣، المصدر نفسه: ٤٧٥/٩ـ مجمع البيان: ٥١٦/٣.
(٤٠) المصدر نفسه: ٢٣٢/٣، المصدر نفسه: ٤٧٦/٩.
(٤١) الطاف الرحمن: ٢٣٣/٣، المصدر نفسه ٤٧٧/٩.
(٤٢) المصدر نفسه: ٢٣٥/٣، المصدر نفسه: ٤٧٨/٩.
(٤٣) ظ: منية الطالبين ١/ ٨٧ ـ ٨٩.

قائمة المصادر والمراجع

١. الأصول من الكافي: الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت: ٣٣٩هـ)، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة (١٣٨٨هـ).

٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: المجلسي: محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثالثة (١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م).

٣. تاريخ القرآن وعلومه: الجنابي: سيروان عبد الزهرة (معاصر)، دار الرافد للطباعة، بغداد، الناشر: دار حدود النشر والتوزيع، بيروت ــ لبنان، (١٤٣٩هـ ــ ٢٠١٨م).

٤. التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) التراث العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ).

٥. تفسير النهر الماد من البحر المحيط: أبي حيان: أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٥٤هـ)، النشر: مؤسسة الكتب الثقافية، دار الجنان، بيروت ــ لبنان الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م).

٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني (ت: ١٢٧هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).

٧. سيرة اعلام النبلاء: الذهبي: أبو عبدالله شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين باشراف: شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م).

٨. الطاف الرحمن في فقه القرآن: السبحاني: العلامة الشيخ جعفر (معاصر) الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، مطبعة: الإمام الصادق عليه السلام، ط١، (١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩م).

٩. علوم القرآن: الحكيم: السيد محمد باقر الحكيم (ت: ١٤٢٤هـ)، الناشر: مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي، النجف الأشرف، ط١ (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

١٠. الفهرست: ابن النديم: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت: ٣٨٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م).

١١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوب التأويل: الزمخشري: ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ـ ٥٣٨هـ)، الناشر: شركة ومكتبة مصطفى البابي وأولاده بمصر، الطبعة الرابعة (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦).

١٢. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت: ٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة بيروت ـ لبنان، الطبعة التاسعة (١٤٠٩هـ).

١٣. مجاز القرآن: أبو عبيدة: محمد بن المثنى التميمي البصري (ت: ٢١٠هـ)، المحقق: محمد فؤاد سركين، الناشر: مكتبة: محمد سامي أمين الخانجي، القاهرة الطبعة الأولى (١٣٧٤ـ ١٩٥٤م).

١٤. مجمع البيان: الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين: الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

١٥. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: بن هشام: جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: الدكتور: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، الناشر: انتشارات سيد الشهداء عليه السلام، قم، الطبعة الاولى (١٣٧٢هـ).

١٦. المناهج التفسيرية في علوم القرآن: السبحاني: العلامة الشيخ جعفر (معاصر) الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، مطبعة: الإمام الصادق عليه السلام، ط٥، (١٤٣٥هـ).

١٧. مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني: محمد عبدالعظيم (ت: ١٣٦٧هـ)، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـ مصر، ط١ (١٤١٦هـ).

١٨. منية الطالبين في تفسير القرآن المبين: السبحاني: جعفر السبحاني (معاصر)، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط١ (١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م).